ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
مجلد: 10 عدد 2 ديسمبر 2019
ص ص 159-190

الإستشراق بين المواصفات العلمية والأهداف المشبوهة

إبراهيم عبو
جامعة معسكر،
brahim.abbou@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 15/ 07/ 2019؛ تاريخ القبول: 12/ 10/ 2019

Orientalism between scientific specifications and suspicius objectives

Abstract:

Orientalism is an expression which means the trend towards the East. the researcher who studies the Orientals. their culture and their history is called the orientalist. It also means the intellectual stream . that deals with its civilization, religions, etiquette, languages and culture. Motives to orientalist are various including religious, cultural and scientific, as well as political, economic and colonial. Orientalism has grown in terms of methodology and objectives.

The most of the schools are the French, Italian, Russian, American and German schools, all of which have studied the Arab-Islamic heritage in all its aspects.

We can categorize orientalists into three distinct categories. There is a category that has presented the world with research that has been established, valued, deep, fair and

المؤلف المراسل: إبراهيم عبو
brahim.abbou@univ-mascara.dz

fair in its rule towards the oriental culture in general, and praised Islam and its greatness, the Prophet peace be upon him and the culture and civilization of the East in general. The second category has intentionally insulted everything related to the Eastern culture and the Islamic religion, and there is a third category of orientalists who are unable to Arabic language and do not know their origins and the history of Arabs and Muslims. We can classify then into:

A) The Orientalists are fair

B) The Orientalists are unjust: A group of Jesuit orientalists and priests who abused the Islamic religion, the prophetic biography of the Prophet, and the Arab-Islamic civilization in general, driven by the Church with a deeply rooted Crusader religious rift.

C - Orientalists are inadvertently unjust:

This category of orientalists took place in error and misguided misrepresentation of Arab history and Islamic civilization. They take the oriental writings and pens without scrutiny or scrutiny because they do not reach the secrets of the Arabic language.

Keywords the Arab-Islamic heritage; Orientalism ; civilization; cultural ; including religious.

الملخص:

الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ويطلق على من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يمثل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. تعددت دوافع

الاستشراق منها دينية وثقافية وأخرى علمية إلى جانب الدوافع السياسية والاقتصادية وأخيرا الاستعمارية.

عرف الاستشراق تطورا من حيث المناهج والأهداف حتى أصبح مدارس خاصة كل منها يحمل طابعا مميزا، و من أبرز هذه المدارس نذكر المدرسة الفرنسية، الايطالية، الروسية، الأمريكية، الألمانية، وقد اشتركت كلها في دراسة التراث العربي الإسلامي بمختلف جوانبه إلا أنها اختلفت من حيث الأسلوب و الخصائص.

يمكننا تصنيف فئة المستشرقين إلى ثلاثة فئات متميزة. هناك فئة قدمت للعالم أبحاثا موضوعة وقيمة وعميقة وعادلة و منصفة في حكمها اتجاه الثقافة الشرقية عموما، أشادت بالإسلام وعظمته وبالرسول صلى الله عليه وسلم والثقافة والحضارة الشرقية بصفة عامة. أما الفئة الثانية فقد تعمدت الإساءة إلى كل ما له علاقة بالثقافة الشرقية والدين الإسلامي، وهناك فئة ثالثة من المستشرقين وهي التي لم تتمكن من اللغة العربية ولا تعرف أصولها وتاريخ العرب والمسلمين إما جهلا بالدين الإسلامي أو قصورا في البحث الأكاديمي النزيه فوقعت بذلك في المحظور.

- الكلمات المفتاحية:

الاستشراق،الشرق، دوافع الاستشراق،مدارس الاستشراقية، فئات الاستشراق.

تمهيد:

الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يمثل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

1/ تعريف الاستشراق:

تعددت تعريفات العلماء إلا أن المختار هو: الدراسات الأكاديمية التي يقوم بها العلماء غير المسلمين للإسلام من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخا ونظما سواء كانت هذه الشعوب تسكن شرق البحر الأبيض أم الجانب الجنوبي منه(بوفالة، س.2016: 9).

وكذلك يعرف على أنه: كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة اللغات الشرقية وخاصة الإسلامية للتعرف على أخلاقها وعاداتها وتاريخها وأديانها وغير ذلك (بن صالح، م. 1995: 21).

أما في اللغات الأوروبية، المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن بمعنى الضياء والنور والهدايا (الشاهد، م.1994: 211). وفي اللاتينية تعني كلمة (orient) « ليتعلم أو يبحث عن شيء ما و بالفرنسية تعني أهدى، أو أرشد و بالانجليزية تعني توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر (بن صالح، م.1995: 25).

2/ دوافع الاستشراق.

تعددت دوافع الاستشراق منها دينية وثقافية وأخرى علمية إلى جانب الدوافع السياسية والاقتصادية وأخيرا الاستعمارية.

عمد المستشرقون إلى دراسة البلدان العربية وبلاد الإسلام في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ليتعرفوا على مواطن القوة والضعف فيها وكذا رغبة الأوروبيين التعامل مع الشرق لترويج بضائعهم وشراء المواد الأولية الطبيعية بأبخس الأثمان وإضعاف

الصناعات المحلية القائمة ببلاد العرب والمسلمين، وعموما يمكننا تقسيم دوافع الاستشراق إلى الدوافع الآتية:

1- الدافع الديني: يعتبر أهم أهداف الاستشراق على الإطلاق وذلك بعدما رأى رجال الدين اكتساح الإسلام لمناطق تسيطر عليها النصرانية، والإقبال عليه لسماحته من طرف المسيحيين وغيرهم من الديانات الأخرى، فكان لا بد أن يقف رجال الدين في وجهه لمنع انتشاره وعرقلة تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام بتشكيك المسلمين في عقيدتهم، إلى جانب أسباب وعوامل مختلفة نذكر منها:

أ/ نشأة الاستشراق في أحضان الرهبان.

ب/ الخواء الروحي الذي عرفته الأوساط الأوروبية بعد فساد الحضارة الحديثة.

ج/ طغيان روح الانتقام لدى علماء الغرب بعد الحروب الصليبية و الفتوحات العثمانية الذي كان المحرك الأساسي لمواجهتها دينيا صرفا (صالح محمد.ح،1938: 40).

2- الدافع الثقافي: ونعني به رغبة المستشرقين نشر ثقافة الأوروبيين ومحاربة اللغة العربية وصبغ البلاد العربية بالصبغة والطابع الثقافي الغربي ونقل الدين الإسلامي مشوها إلى الجماهير الأوروبية ليثبتوا

للعالم المسيحي أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار(محمد خليفة، 1997: 104).

3- الدافع السياسي: تمكن الاستعمار الحديث تجنيد طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه في البلاد العربية والإسلامية، وبذلك نشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار. عمل الكثير من المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم وكقناصل، وتجسسوا على المسلمين وكان رجال السياسة يرجعون إلى المستشرقين قبل اتخاذ قراراتهم المهمة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية(محمود حمدي.ز، 1997: 46).

وما يمكننا استخلاصه: أن التراث الاستشراقي كان بمثابة دليل للاستعمار لأن المعرفة بالأجناس الشرقية هي التي تجعل حكمهم سهلا، وأن المعرفة تمنح عادة القوة.

4/ الدافع العلمي: التشكيك بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم و مصدرها الإلهي، فجمهور المستشرقين ينكر أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم نبيا موحى إليه من عند الله، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم من يرجع ذلك إلى الصرع الذي كان ينتاب النبي محمد صلى الله

عليه وسلم حينا بعد حين، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي وهكذا (مصطفى. س،2007: 63).

إنكار لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وسماوية القرآن، إنما إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله وهو ملفق من الديانتين اليهودية والمسيحية.

التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، وفي غنى الأدب العربي وإظهاره مجدبا فقيرا لنتجه صوب آدابهم، وذلك الاستعمار الأدبي الثقافي (مصطفى. س، 2007: 65).

3-**المدارس الاستشراقية.**

عرف الاستشراق تطورا من حيث المناهج والأهداف حيث أصبحت له مدارس خاصة كل منها يحمل طابعا مميزا، على غرار المدرسة الفرنسية، الايطالية، الروسية، الأمريكية، الألمانية، وهي المدارس التي اشتركت كلها في دراسة التراث العربي الإسلامي بمختلف جوانبه مع اختلافها في الأسلوب و الخصائص.

بناءا على ما سبق، فيما تتمثل هذه اهتمامات المدارس الاستشراقية؟. وما هي مميزاتها؟ و من هم أبرز روادها؟.

أولا: المدرسة الفرنسية:

تعد المدرسة الفرنسية من أهم المدارس الاستشراقية وبخاصة منذ إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795م التي على رأسها المستشرق المعروف «سلفستر دي ساسي» ويعد عميد الاستشراق الاوروربي في منتصف القرن 19م. و منذ وقت طويل أنشئت كراسي في المعاهد والجامعات الفرنسية لدراسة اللغات الشرقية، ومنها اللغة العربية والدراسات الإسلامية ويوجد بمكتبة باريس الوطنية أكثر من سبعة آلاف مخطوط عربي ونوادر من الآثار الإسلامية من نقود وأختام وخرائط، وصدرت بفرنسا مجلات اهتمت بالتراث العربي الإسلامي و التعريف به.(محمد فاروق.ن، 2012: 23).

ونشطت المدرسة الفرنسية قبل الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م وقد صدر عن هذه الحملة كتاب ضخم بعنوان (وصف مصر) كما أن نفوذ الاستشراق الفرنسي استمر بعد وصول «محمد علي» إلى السلطة بحيث بدأت البعثات العلمية تحت إشراف المستشرق الفرنسي «جومار»(قاسم السامرائي، 1408: 15).

تميزت المدرسة الفرنسية عن غيرها من المدارس الأوروبية بالشمول والتعدد، فهي لم تترك من ميادين المعارف الشرقية إلا وتناولته بحثا ونقدا

وتمحيصا سواء في جوانب اللغات أو مقارنة الأديان أو الفنون أو الآثار أو القانون وتعرضت هذه المدرسة للمشرق العربي بأكمله على امتداده الجغرافي(م.فاروق.ن، 2012: 24).

ثانيا: المدرسة الايطالية:

تربط ايطاليا بالشرق الإسلامي روابط تاريخية وجغرافية وثيقة منذ قرون سحيقة والتي تأرجحت بين المد والجزر والرغبة في تحقيق أهداف سياسية ومنافع تجارية واقتصادية، وبالرغم من المصاعب والحواجز إلا أن الجامعات الايطالية بدأت تهتم بالدراسات الإسلامية حيث أقدمت جامعة بولونيا سنة 1076م الاهتمام بالعلوم العربية، ثم تلتها جامعة نابولي 1224م ثم كل من جامعات مسينا وفلورنسا وبادوا وكلها اعتنت بصورة خاصة بالدراسات الإسلامية واللغة العربية.(ساسي.س.الحاج،2001: 11).

ومن أبرز خصائص المدرسة الايطالية، أنها بدأت لتحقيق أغراض دينية ثم تطورت لتحقيق أغراض تجارية وسياسية واستعمارية، ثم قامت بالتركيز على الدراسات العربية الإسلامية وجمع المخطوطات العربية النادرة.(ساسي، س.الحاج، 2001: 12).

ثالثا: المدرسة الألمانية:

تأخرت المدرسة الألمانية عن سائر البلدان الأوروبية على الرغم من اتصالها بالشرق منذ الحروب الصليبية وانشقاقها بعد ذلك عن الكنيسة الكاثوليكية إثر حركة مارتن لوثر(محمد أ. الزناتي، 2006: 36) ورغم التأخر ازدهرت المدرسة الألمانية بفضل اهتمام جامعاتها المختلفة المتزايد بالدراسات العربية الإسلامية، وأسس المستشرق «هارتمان» الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الإسلامية التي أصدرت مجلة «عالم الإسلام»، كما أصدر المستشرقون الألمان عددا من المجلات عن الشرق نذكر منها «مجلة الإسلام» التي صدرت عن معهد اللغات الشرقية بجامعة هامبورغ و تهتم هذه المجلة بالتعريف بالتراث العربي والإسلامي والعناية به.

تتميز المدرسة الألمانية بالجدية والعمق والدقة ومن الصعب تجاهل دورها في مجال البحث والدراسة بالرغم من تأخرها دخول مجال الاستشراق، فإن المستشرقين الألمان أكدوا أصالة هذه المدرسة وقوتها وقدرتها على التصدي لقضايا فكرية هامة (محمد.أ.زناتي، 2006: 36).

أبرز المستشرقين الألمان الذين كان لهم صيتا في هذا المجال نذكر منهم على وجه الخصوص» كارل بروكلمان» (1868-1956) الذي اشتهر بأعماله وأبحاثه المعمقة في التاريخ والسيرة والتراجم واللغات

الشرقية القديمة واللغة العثمانية القديمة و بكتابه تاريخ الأدب العربي (محمد مدني، د.ت: 3).

رابعا: المدرسة الروسية:

بفضل قرب روسيا القيصرية من الشرق الإسلامي تمكنت من ربط أواصر العلاقات في فترة مبكرة أي منذ زمن الدولة العباسية ولكن زاد اهتمام روسيا بالعالم الإسلامي منذ نشأة الدولة العثمانية التي تتاخم الحدود الروسية مباشرة، لم يكن الاستشراق الروسي بدافع الصراع الديني بين المسيحية الشرقية والإسلام بقدر ما هدفه الحقيقي محاولة روسيا الوصول إلى المياه الدافئة فشجعت الحكومات الروسية المتعاقبة دراسة التراث العربي الإسلامي وخاصة ما تعلق بالأقاليم الإسلامية الواقعة تحت سيطرتها كآسيا الوسطى وشعوب القوقاز لذلك اعتبر الاستشراق الروسي التراث الإسلامي جزء من تراثهم وعمدوا منذ أواخر القرن 18م تأسيس المدارس الاستشراقية نذكر منها جامعة خاركوف سنة 1804م لتدريس اللغات الشرقية وجامعة قازان لتدريس الألسنة 1811م. (فاطمة.ع. الفتاح، 2000: 45).

تتميز المدرسة الروسية بخصائص تميزها عن باقي المدارس الاستشراقية الأخرى تقريبا، منها اهتمامها الواضح بالأدب العربي

بصفة خاصة، إلى جانب بعدها عن الأغراض الدينية والسعي إلى بث الأفكار الاشتراكية، والاستعانة بسكان آسيا الوسطى في مجال الاستشراق(فاطمة.ع. الفتاح، 2000: 45).

من أبرز المستشرقين الروس الذين كان لهم صيتا في مجال الاستشراق نذكر منهم: كراتشوفيسكي اغناطيوس والذي اهتم بالشعر العربي في العصر الأموي، ومن أثاره: أدب النصارى العرب، تاريخ الأدبي المعاصر والأدب الجغرافي العربي، إلى جانب المستشرق «كريسمي» الذي أهتم بالدراسات العربية والفارسية، عاش في سوريا وكان أستاذا للغة العربية وآدابها في جامعة قازانا، ومن آثاره: العالم الإسلامي ومستقبله 1889م، الأدب العربي الحديث في القرنين 18و19م سنة 1906م(فاطمة، ع.ف، 2000:46).

4-**فئات المستشرقين**:

يمكننا تصنيف فئة المستشرقين إلى ثلاثة فئات متميزة. هناك فئة قدمت للعالم أبحاثا موضوعة وقيمة وعميقة وعادلة و منصفة في حكمها اتجاه الثقافة الشرقية عموما، أشادت بالإسلام وعظمته وبالرسول صلى الله عليه وسلم والثقافة والحضارة الشرقية بصفة عامة. أما الفئة الثانية فقد تعمدت الإساءة إلى كل ما له علاقة بالثقافة الشرقية والدين

الإسلامي، وهناك فئة ثالثة من المستشرقين وهي التي لم تتمكن من اللغة العربية ولا تعرف أصولها وتاريخ العرب والمسلمين أم جهلا بالدين الإسلامي أو قصورا في البحث الأكاديمي النزيه فوقعت بذلك في المحظور. وبناءا على ما سبق يمكننا تصنيف هؤلاء إلى ما يلي:

أ- المستشرقون المنصفون:

وهي فئة من المستشرقين الغربيين اتخذوا من الاستشراق علما قائما بذاته، فضحوا من أجله بالكثير من الجهد والوقت والمال يتبعون نهجا علميا موضوعيا ويقرون بأفضلية حضارة الشرق على الغرب وما تزخر به من علوم مختلفة(على حسن.خ، 1988: 98) نذكر منهم: المستشرق السويدي « كارل فلهلم سترستين 1866/ 1953م الذي قام بتفسير وترجمة القرآن الكريم إلى اللغة السويدية، وكذلك المستشرق الأمريكي «واشنطن إيرفينغ « الذي أولى اهتماما كبيرا لتاريخ المسلمين بالأندلس، والمستشرق «كاري مولر» الذي درس القرآن الكريم من عدة جوانب، وألف كتابا باللغة الانجليزية أسماه (الظاهرة القرآنية) (عبد الحليم ريوتي، 2011: 85).

ب- المستشرقون المجحفون:

وهي فئة من المستشرقين اليسوعيين ورجال الكهنوت التي أساءت إلى الدين الإسلامي والسيرة النبوية المطهرة والحضارة العربية الإسلامية عموما مدفوعين من الكنيسة بحقد ديني صليبي متجذر، ولكن إساءتهم تتفاوت أيضا فهناك إساءات لا يمكن أن نغفلها وهناك أخرى محدودة وفي دائرة ضيقة وأن إساءاتهم كانت عن عمد وقصد عبروا عن نواياهم الخبيثة وأصروا وساقوا الأدلة المزيفة لإثبات اتهاماتهم الباطلة بتحريف القرآن الكريم حذفوا من كتب المسلمين ما لا تروقهم وخلطوا آيات القرآن الكريم بالأبيات الشعرية، وفي مقدمة هؤلاء نذكر: الأب لامانس 1882/ 1937م ، وديلاسي أوليلي الذي يعتبر من غلاة المستشرقين وهو صاحب كتاب(مختصر تاريخ الدولة الفاطمية).(محمد كرد على، 2017: 30).

ج- مستشرقون مجحفون بدون قصد:

هذه الفئة من المستشرقين وقعت في الخطأ والزلل أساءت إلى التاريخ العربي والحضارة الإسلامية بدون قصد، فهم يأخذون عن الكتابات والأقلام الاستشراقية دون تمحيص أو تدقيق وذلك بسبب عدم توصلهم إلى أسرار اللغة العربية التي هي ليست لغة المستشرقين،

فهم لم يستطيعوا النفاذ إلى كنفها ولذلك استعصى عليهم الوصول إلى أعماقها وفهم معانيها(نجيب العقيقي، 1937: 523)، ويعترف المستشرق» ابرتك» بقوله: «...إن إمكانية معرفة المستشرقين محدودة و هو ما قد يسبب الوقوع في مواطن الزلل والخطأ»(محمد كرد علي، 2017: 32).

5-مناهج المستشرقين:

من الصعب أن نجمع المستشرقين كلهم في دائرة واحدة ونزعم أن منهجهم كان واحدا أو متقاربا وذلك بسبب أن خلفيات المستشرقين متعددة وثقافاتهم متباينة، فمنهم المتدين والملحد ومنهم المتعصب، ومنهم من عايش المجتمع الإسلامي وخالط المسلمين ومنهم من كانت دراسته للإسلام من خلال الكتب والجامعات الغربية، وبناءا عليه ، ما هي أهم المناهج المتبعة في الدراسات الاستشراقية ؟ وما هي أبعاد المستشرقين الخفية؟.

- تعريف المنهج: هو المنهج العلمي، هو خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقية أو البرهنة عليها. استخدم المستشرقون العديد من المناهج، وقد تجتمع هذه المناهج في دراسة واحدة ونذكر منها:

1/ منهج المطابقة و المقابلة.

هو منهج دراسة النصوص والتحقق منها، وقد استخدمه المستشرقون في دراسة النصوص الإسلامية وكان لهم في ذلك جهد كبير وفضل في استخراج العديد من المخطوطات وقد ساعدهم على ذلك معرفتهم للعديد من اللغات وإطلاعهم على المخطوطات ووصولهم إلى أماكنها، واكتشافهم للعديد من النقوش والآثار وقد برعوا في جمع هذه المخطوطات ومقابلتها والتوفيق بينها، كما أنهم برعوا في الترجمة وتحقيق النصوص وإرجاعها إلى مصادرها الأصلية، ولكن هذه الطريقة لم تسلم من الخطأ لأن أغلب المستشرقين قد رسخت في أذهانهم فرضيات علمية مسبقة وهم يحاولون إثباتها دائما وتطويع النصوص للبرهنة على صحتها(ساسي سالم.ح، 2002: 164).

2/ منهج الأثر و التأثير:

ويقصد بذلك أن الإسلام ما هو إلا دين ملفق من اليهودية والنصرانية أو إلى غيرها من الحضارات والأديان(صالح حمد.ح.، 1467ه: 10)، فقد كان المستشرقون القدامى أكثر اهتماما بهذه النزعة في كتاباتهم حتى أننا نجد المستشرق اليهودي» أبراهام غايغر اصدر عام 1833م كتابا بعنوان مثير هو: « ماذا أخذ القرآن عن اليهودية»، وقد

كان هذا الكتاب إيذانا ببداية حقبة جديدة في البحث الاستشراقي تهدف إلى التنقيب عن كل ما قد يبدو للمستشرقين في القرآن منقولا ومستقى من اليهودية، وقد أقبلت أبحاث هؤلاء تفكك مضامين القرآن الكريم توراتية- يهودية مزعومة، ومما لا شك فيه أن الأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج تكون حاضرة في كتابات المستشرقين كلما وجد تشابه بين الموضوعات القرآنية والموضوعات المبثوثة في الإنجيل أو التوراة وهكذا تكون القصص القرآنية مأخوذة في زعمهم عن القصص اليهودية والنصرانية(ساسي سالم.ح، 2002: 165).

ومن جهة أخرى، يرى بعض المستشرقين أن كثيرا من الأعلام الواردة في القرآن ذات أصل عبراني حتى أن احدهم وهو المستشرق الفرنسي اليهودي «أندري شوراكي» قد أصدر ترجمة لمعاني القرآن انتقده المستشرقون قبل المسلمين، وقد احتفظ فيها بالأصول العربية لبعض الألفاظ غير مترجمة إمعانا منه في بيان أصلها العبراني كما يزعم (حسن عزوزي، 2018: ص22).

3/ المنهج التاريخي:

وهو عبارة عن ترتيب وقائع تاريخية أو اجتماعية وتبويبها وترتيبها ثم الإخبار عنها والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها(صالح

حمد.ح،1467ه: 11) وقد أخلطوه بالمنهج الذاتي فجاءت دراستهم ذاتية أكثر منها تاريخية.

والمنهج التاريخي قد يكون عاما يشمل كل الظواهر السياسية والاجتماعية والقانونية للمجتمع وقد يكون خاصا بجزء معين مقتصرا عليه، والمستشرقون حين طبقوا هذا المنهج على الحضارة الإسلامية فإنهم بذلك صنفوا التاريخ الإسلامي ومفكريه على نمط العقلية الغربية، وحين يتحدثون عن مفكري الإسلام «كابن رشد» و»الغزالي» فإنهم يصنفونهم بأنهم أصحاب مدارس كالغربيين، وهذا غير صحيح وبعيد كل البعد عن التاريخ الإسلامي، ونتائج تطبيق هذا المنهج ليست غالبا صحيحة و تؤدي إلى إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعدم صدقية الوحي بحيث يفسر كل شيء على أنه ظاهرة تاريخية ذات أصول مادية وهو بذلك يقوم على فكرة مسبقة وتمييز حضاري وتعصب ديني(أمجاد الربيعة، 2018: 10).

4/ المنهج الاسقاطي:

يتمثل هذا المنهج في خضوع الباحث إلى هواه وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها عليه بيئته الثقافية وعدم قدرته التحرر من الأحكام المسبقة بموضوع بحثه، وهو يعني تفسير التاريخ

بإسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ، فيفسرونها على ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم و مجتمعاتهم، و هم بذلك يحاولون إثبات الصور المرسومة والمفاهيم العالقة في أذهانهم حتى وإن استحال وقوعها ويفنون الحقائق الواقعة التي لا تتصورها أذهانهم(صالح حمد. ح. الاشرف،1438 ه: 11).

ومن الأمثلة عن المنهج الاسقاطي ما أورده المستشرق «ريجي بلاشر» في سياق البحث عن أسباب عدم جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في مصحف من أنه عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يميلون إلى ترك الأمور على ما هي عليه، لأن العرب في جملتهم لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهمهم المستقبل –حسب رأي بلاشر–وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن هذا التفسير الاسقاطي الفاسد لا يستند إلى أدنى دليل علمي أو منطق عقلي، فهو يخضع أساسا إلى هوى المستشرق وأحكامه المسبقة مما يؤدي إلى أحكام مسبقة تعسفية وجائرة، إذ من المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحث على حفظ القرآن وكتابته خوفا عليه من الضياع، وقد بلغ الحرص على كتابته وتدوينه بمختلف الوسائل

التي كانت متاحة وقتئذ، وفي هذه المرحلة كان يتنزل القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم مفرقا و منجما ثم يراجعه جبريل عليه السلام(مصطفى ديب البغا، 1998: 15) وكان يستدعي كتبته الذين فاق عددهم الأربعين ويأمرهم بكتابة وجمع ما أنزل عليه من القرآن ويشير إلى مواضيع الآيات من السور وهو ما يشير إليه زيد بن ثابت رضي الله عنه بقوله:» كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع» وهذا ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم وصحابته كانوا يفكرون في حفظ القرآن مدونا ومكتوبا لمن يأتي بعدهم، غير أن جمعه في مصحف لم يكن ممكنا آنذاك لأنه عليه الصلاة والسلام كان ينزل عليه منجما طوال ثلاث وعشرين سنة، فكان يترقب كل مرة ورود أو نسخ لبعض الأحكام أو التلاوة(حسن عزوزي، 2018: 34). وفي المرحلة الثانية، بدأ جمع القرآن في عهد الخليفة أبو بكر الصديق-رضي الله عنه- بعد أن خشي من ذهاب بعض القرآن، بسبب قتل الكثير من القرأء في حروب الردة(مصطفى ديب البغا،1998: 17).

5/ المنهج الانتقائي:

عرف عن المستشرقين في كتاباتهم حول التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية المطهرة أنهم ينتقون الأحداث والقضايا ويكتبون عنها ويهملون

غيرها من الأحداث، كما أنهم يشككون في الكثير من المسلمات التاريخ الإسلامي، ومن صور الانتقائية عندهم نذكر:

-الانتقائية في المصادر والروايات والأخذ والرد منها بما يتناسب مع النتائج المقررة لديه، ومن ذلك ما يوردونه عن أسباب حادثة الهجرة للحبشة و عن قصة الغرانيق المختلقة، وعن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش، ومناقشة هذه الأحداث بأسلوب جازم بصحتها معتمدين على مصادر تورد الضعيف دون الالتفاف لكتب السنة التي بينت وهن هذه الروايات سندا ومتنا.

-اعتماد المصادر غير الموثوقة لدى المسلمين أو الرجوع إلى مصادر غير متخصصة وهو من العيوب المنهجية الظاهرة في الدراسات الاستشراقية حيث أنهم يعمدون دائما المصادر غير الموثقة عند المسلمين فيجعلونها هي المصدر الأساس لدراساتهم وأبحاثهم، ومن ذلك يرجعون إلى كتاب « الأغاني للأصفهاني» فيجعلونه مرجعا أساسيا في دراساتهم للتاريخ والمجتمع الإسلاميين، كما يعمدون إلى المراجع التي ضعفها العلماء المسلمون أو طعنوا في أمانة أصحابها فيجعلونها أساسا لبحوثهم، ويرجعون إلى مصادر غير متخصصة لبحث المسائل الشرعية كرجوعهم لفهرس ابن نديم لبحث مسألة السحر وحكمها الشرعي (محمد .ح.الأعرجي، 1993: 91).

-الاهتمام بالفرق والأقليات:

ركز المستشرقون جهودهم على أخبار الفرق والطوائف الإسلامية والصراعات الخلافات بينها بما في ذلك البحث عن الوثنيات والتاريخ السابق لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بهدف إيجاد الثغرات والتشويش على الحضارة العربية الإسلامية وتأييد أفكار آراء الفرق الضالة والمبتدعة ونصرة مواقفهم ومدحهم بتحقيق كتبهم وإظهارها والعمل على نشرها على أوسع نطاق، ونخص بالذكر أخبار الحلاج(ت:309ه/ 921م)، طبقات الصوفية، كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني(ت:356ه/ 966م)، كتاب ألف ليلة و ليلة وغيرها باعتبارها أهم المصادر الشرعية والتاريخية والأدبية والحضارية في عصرها معرضين عن حكم أئمة علماء المسلمين عليها(صالح.ح.الأشرف، 2002: 160).

6- أثر الاستشراق على البلاد العربية.

عرفت الديانة النصرانية انحرافات خطيرة خلال العصور الوسطى بسبب ما أحدثه الباباوات الكنيسة على تعاليم عيسى عليه السلام، ولما شعرت أوروبا ومفكريها أن النصرانية المنحرفة تعيق تقدمها ونهضتها ظهر تيار التنوير مناديا بفصل الدين على الشعائر التعبدية وبالتالي

العلاقة بين الله والإنسان، نهضت أوروبا نهضتها بمحاربة الدين والكنيسة وبلغت الذروة في هذه الحرب خلال الثورة الفرنسية.

ولما كانت العقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل وبالتصور العام الذي جاء به الإسلام للخالق سبحانه وتعالى والكون والإنسان، فقد تمكن الاستشراق الذي انطلق من البلاد العربية وتركيا وإيران وعن طريق البعثات العلمية تحت إشراف مستشرقين فرنسيين من ترك بصماته بكل وضوح على مستقبل بلاد العرب تحت غطاء دراسة الهندسة والفنون الحربية والزراعية ولكن المعلمين الفرنسيين كانوا حريصين نقل الطلاب المسلمين الآداب والثقافة الفرنسية عن طريق إنشاء المدارس والجامعات الغربية في العالم الإسلامي(محمد صباغ، 1978: 29).

ومن ذلك الكلية الإنجليزية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية التي أصبح لها فروع في كل من بيروت والقاهرة، بالإضافة إلى كلية «فيكتوريا»، وقد زعم «كرومر» في احتفال بمدرسة «فيكتوريا» بأن الهدف من هذه المدرسة وشبيهاتها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسرا بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين(محمد صباغ، 1978: 30)، وقد وصف الشيخ» سعيد الزاهري» التلاميذ الجزائريين الذين درسوا في المدارس الفرنسية في الجزائر بأنهم لا يصلون ولا يصومون ولا يتحدثون

اللغة العربية فيما بينهم ولا يؤمنون بالقرآن الكريم وحي من الله(محمد سعيد الزاهري،د.ت: 108).

ومن جهة ثانية،أحدث الاستشراق آثارا اجتماعية خطيرة في البلاد الإسلامية من حيث البنية الاجتماعية وبناء الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة وذلك بتشويه مكانة المرأة في الإسلام ونشر المزاعم اضطهاد للمرأة وتشجيع الدعوات لتحريرها، وفي المغرب العربي تعاون الاستشراق والاستعمار الأوروبي على إحداث النزاعات الانفصالية وتشجيعها بين العرب والبربر وتعليم السكان اللغة الفرنسية ونشر الحملات التنصيرية في ديارهم (مازن مطبقاني، د.س:352)

وبناءا على ما سبق، يرى الدكتور محمد خليفة أن موقف الاستشراق من المرأة المسلمة نابع من وقوعه تحت تأثير وضع المرأة الغربية بأنها نموذجا يجب أن يحتدى به، وأن ما حققته من مساواة وحقوق- في نظرهم- يجب أن يتسع ليشمل المرأة المسلمة والمرأة الشرقية عموما، كما يسعى الاستشراق إلى تقويض وضع المرأة المسلمة داخل الأسرة على التمرد على النظام والخروج باسم الحرية وتصوير المرأة المسلمة تصويرا مزيفا لا يعكس الحقيقة (محمد خليفة حسن، 1997: 64).

أما في الجانب السياسي فإن الاستشراق يرى أن الديمقراطية الغربية هي أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن، لذلك فهم يعملون على أن يسود كل العالم بما في ذلك البلاد الإسلامية، وقد سعوا إلى ذلك من خلال انتقاد النظام السياسي الإسلامي فظهرت كتب عديدة ومتنوعة عن نظام الخلافة الإسلامي زاعمين أنه قائما على الاستبداد وفرض الخضوع على الشعوب الإسلامية، كما افتروا على الخلفاء الراشدين بزعمهم أن وصول أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب-رضي الله عنهما- إلى الخلافة كان نتيجة لمؤامرة بين الاثنين(برنارد لويس،د.ت: 79).

بناء على ما سبق، بعد موجة الاستقلال التي عرفها العالم العربي والإسلامي تأثرت الكثير من هذه البلدان العربية التي خضعت للاستعمار الغربي المباشر بهذا الفكر السياسي الأوروبي وقامت باستيراد النظام البرلماني دون إعداد شعوبها لمثل هذه الأنظمة المستوردة فكانت النتيجة كما قال أحد المستشرقين:» بأن العرب استوردوا برلمانات معلبة دون ورقة التعليمات«(محمد خليفة حسن، 1997:79).

أما في المجال الاقتصادي فإن الغرب سعى إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي بشقيه الرأسمالي والاشتراكي ومحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي، وكان من نتائج الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم

الإسلامي أن انقسم هذا الأخير على نفسه فأصبح قسم منه يدور في فلك الدول الشيوعية والقسم الثاني في فلك الدول الرأسمالية، وحسب المفكر «محمد قطب»: إن المستشرقين في سعيهم الترويج للفكر الاقتصادي الغربي قاموا بإعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والشيوعية كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنهما لا يمثلان خروجا عن النظام الاقتصادي الإسلامي(محمد قطب، 1987: 324).

7-أثر الاستشراق على الدولة العثمانية:

إلى جانب الدول العربية لقد حظيت الدولة العثمانية باهتمام واسع بواسطة الدراسات الاستشراقية، ويعتبر المستشرق» برنار لويس» من بين أبرز المتخصصين في الخلافة العثمانية من خلال مجموعة البحوث ومحتويات الأرشيفات العثمانية وترجمة الوثائق.

وبالنسبة للهوية التركية والهوية الإسلامية يرى المستشرق «برنار لويس» أن الأتراك نظروا إلى أنفسهم أساسا أنهم مسلمون، وأن ولاءهم للإسلام والأسرة العثمانية والدولة واللغة والأرض والجنس وأمور شخصية واجتماعية ليس لها أهمية سياسية(مازن.ص. مطبقاني، 1995 :297)، كما تحدث المستشرقون عن مكانة الإسلام في الدولة العثمانية

وذكروا أنها وجهت نفسها منذ البداية للدفاع عن قوة العقيدة الإسلامية، فقد كان العثمانيون في حرب مع النصرانية منذ سبعة قرون، وذكر « لويس» أن ملامح سيطرة الإسلام على الإمبراطورية يشار إليها في الكتب التاريخ التركية بالأراضي الإسلامية، والمحاكم يطلق عليها»بادي شاه الإسلام» وجيوشها جنود الإسلام، والرئيس الديني هو شيخ الإسلام (مازن.ص. مطبقاني، 1995: 335).

ومن جهة أخرى، يحرص المستشرقون على تشويه صورة الحكم العثماني بنفي الأصالة عنه، وزعم « لويس» أن الاهتمام العثماني بالأدباء والشعراء والعلماء لم يكن إلا لتوقع أن يقدم هؤلاء خدمة للسلطة، وأن الأسرة العثمانية بدورها في حاجة إلى شجرة نسب(مازن.ص.مطبقاني، 1995: 340)

بالإضافة إلى ما سبق، أسهم الاستشراق المتعاطف مع الصهيونية واليهودية العالمية في تناول موضوع السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية تناولا يعتمد على المدح الظاهر والقدح الخفي والمغالطة في استخدام النص، والعبث بذهن قارئه باستخدام مصادر ضعيفة (سعد بوفلاقة، 2005: 93).

الخاتمة:

ما يمكننا استخلاصه من الدراسات الاستشراقية للعالم العربي الإسلامي أن اغلبها أهتم بالعقيدة الإسلامية والقران الكريم والسنة النبوية المطهرة. هدفه التشكيك في القرآن والرسالة النبوية وهو بالتالي امتدادا لموقف اليهود والنصارى والكافرين للعقيدة للرسالة المحمدية منذ نزولها على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

اهتمام الحكومات الغربية بالحركة الاستشراقية ودعمها المتواصل ماديا و معنويا فان ذلك كان لأغراض مشبوهة، نذكر منها المخططات الاستعمارية التي أصبحت تتكامل وتتداخل بينها وبالتالي أبعدت هذه الدراسات عن الأمانة العلمية وعن شروط ومواصفات البحث العلمي النزيه.

المراجع:

- الاشرف صالح محمد حسن، (1438ه). الاستشراق: مفهومه وآثاره، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

-أمجاد ربيعة،» مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام«. مجموعة أوراق وأبحاث مقدمة لمقرر مناهج المستشرقين والاستشراف المعاصر في ضوء الإسلام، الموقع الالكتروني:
(//esthrac.blogspot.com/2014/12/blog-post 78.html.:https)

-برنارد لويس، (1998). الغرب و الشرق الأوسط، تر: نبيل صبحي، القاهرة: المختار.

- بوفالة سعد، (2016). الاستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتجني، المكتب العربي للمعارف.

- حسن محمد خليفة، (1997). آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، القاهرة.

- النبهان محمد فاروق، (2012). الاستشراق: تعريفه- مدارسه- آثاره، المملكة المغربية: منشورات اسيسكو.

- السامرائي قاسم،(1408ه). الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقية، جامعة الإمام.

- الصباغ محمد،(1978). الانبعاث ومخاطره، دمشق: المكتب الإسلامي.

- العقيقي نجيب،(1937). المستشرقون، ج1. بيروت: مطبعة الاتحاد.

- الزناتي محمد انور، (2006). زيارة جديدة للاستشراق، ط1. القاهرة: مكتبة الأنجلو- المصرية.

-الزاهري محمد السعيد، الإسلام في حاجة إلى دعاية و تبشير، الجزائر: دار الكتب الجزائرية.

- ساسي سالم الحاج،(2001). نقد الخطاب الاستشراقي- الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج1. ط1. بيروت: دار المدار الإسلامي.

- عزوزي حسن ، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، على الموقع الالكتروني:

(//islamhouase.com/ ar/books/450187:https)

- علي محمد كرد،(2017). الإسلام والحضارة العربية، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

- قطب محمد، (1987). واقعنا المعاصر، جدة: مؤسسة المدينة المنورة للنشر والتوزيع.

- مطبقاني مازن صالح، (1995). الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

- مدني محمد، المدرسة الاستشراقية الألمانية وإسهاماتها اللغوية، د.د.ن.

- محمود حمدي زقزوق، (1997). الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف.

-مصطفى ديب البغا، (1998). الواضح في علوم القرآن، ط2، دمشق.

- السباعي مصطفى، (2007).» الاستشراق والمستشرقون: أهداف الاستشراق ووسائله«. مجلة حضارة الإسلام، العدد:9، ص.65.

- ريوتي عبد الحليم ،(2011).» ما هو الاستشراق« (النشأة. المناهج. الأهداف. الأصناف. الوسائل. مجلة الإنسان والمجتمع، العدد 2.